BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 3 / No 2 – Jun 1444 / 2023
ISSN: 2791-6561
Received: 11.10.2023 | Accepted: 99.10.2023 | DOI: 10.5281/zenodo.10299172 0000-0001-5440-2206

تأثير الطيبي في مباحث علم البيان على السيوطي في كتابه "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار"

The Effects of Sharaf al- Din al-Tibi on Jalal Al-Din al-Suyuti in Terms of Rhetoric Matters (Especially Ilm al-Bayan) of "Nawahed Al-Abkar wa Shawarid Al-Afkar" for al-Suyuti

حبيب كليج *

Habib KILIÇ

ملخص

شهد تاريخ البلاغة العربيّة إسهاماتٍ كبيرةً من علماء كبار لهم تأثير واضح في تشكيل هذا العلم الجليل. واللّغة العربيّة تختلف عن اللّغات الأخرى. وقد تكون لكلمة واحدة معانٍ عدّة، فهي محيط لا ساحل له. وعلاقتها بالقرآن الكريم جعلتها في قمّة البلاغة والفصاحة.

وهذا البحث تناول دراسة من أوجه البلاغة التي تبهر العقول بفضل تجلّيات أحسن كلام وأبلغ نظام، وهو كلام الله. وذلك في حاشية السيوطيّ على أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ولما كان القرآن الكريم من أهمّ مصادر اللّغة العربيّة، والمصدر الرئيس للمسلمين، بذل العلماء جهودًا كبيرةً مضنية في شرحه وتفسيره. وفي هذا الإطار

* PhD Candidate. Jinan University. Department of Arabic Language and Rhetoric. Lebanon. ORCID: 0000-0001-5440-2206 E-Mail: habibklc@hotmail.com

كتب الزمخشريّ –وهو اللغويّ، والبلاغيّ، البارع – تفسيره المشهور الكشّاف. وبعد ذلك شرح البيضاويّ هذا التفسير الفريد بعنوان أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

وأمّا السيوطيّ فقد كتب شرحًا وافيًا للبيضاوي، وأضاف إضافات رائقة ذات بال لم يسبقه أحد إليها، وجمع فيه من كتب التفسير والبلاغة الفوائد والفرائد كعادته في التصنيف والتأليف. ولا شكّ أنّ السيوطيّ أُشتهر بالتفسير والحديث والفقه وعلوم آخرى. وقد بقيت جهوده البلاغيّة مخفيّة مدّة مديدة. وممّا لا غبار عليه أنّ لهذا العلم قدمًا راسخة في علوم اللغة والبلاغة ينبغي أن يسلّم له فيها السابق واللاحق والقاصي والداني.

وتأتي أهمّية السيوطيّ في علم البلاغة، من خلال اطّلاعاته العميقة، وجمعه لآراء من سبقه من أهل البلاغة، وإضافاته في مواضع شتّى، وتحليلاته الدقيقة. ولا يُنقص قيمة المؤلف العلمية عندما يقتبس القول من قائله ويذكر مصدره، بل هذا شرف للمؤلّف وإحترامه للعلم والعلماء. ولا يتحرّز السيوطي من ذكر آراء أهل البيان في كتابه. وأكثر من نقل السيوطي منه هو العالم شرف الدين الطيبي. وقد ذُكر اسم الطيبي في نواهد الأبكار أكثر من سبعمائة مرة. وهذه الدراسة محاولة لتسليط الضوء على تأثير الطيبي على السيوطيّ في مباحث علم البيان من خلال "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار".

الكلمات المفتاحية: نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، السيوطي، الطيبي، البلاغة، علم البيان.

Abstract: The history of Arabic rhetoric shows that there are a lot of significant contributions from eminent scholars who have had a clear influence in shaping this noble science. The Arabic language differs from other languages as it is the language of the Quran. Therefore a strong relationship between the Arabic language and the Quran emerged.

This thesis examines various aspects of eloquence that astound minds due to the manifestation of the most excellent speech and the most comprehensive system of Allah's words in Al-Suyuti's commentary on Anwar Al-Tanzil and Asrar Al-Ta'wil. As the Quran is one of the most important sources of the Arabic language and a primary source for Muslims, scholars of Arabic language and Islam exerted extensive efforts and fervently engaged in explaining and interpreting it. Within this study, Al-Zamakhshari, a linguist and rhetorician who focused on figurative meanings, wrote his famous interpretation, Al-Kashaf. Following that, Al-Baydawi provided a unique commentary titled Anwar Al-Tanzil and Asrar Al-Ta'wil, which was further elucidated by Al-Suyuti, who wrote a concise explanation and added remarkable insights from other exegetes and scholars of rhetoric. To get information from others, and addressing it in the text is not a weakness. The progress of knowledge can be seen step by step. Any one by himself cannot

receive whole of information. Therefore scientists are effected from each other. In this research the effect of al-Tibi can be recognized from his massive quotes in al-Suyuti`s book. And more than 700 quotes of al-Tibi in Nawahed Al-Abkar is a clear evidence for this effect. In this way we have chosen some example of quotes and wrote under related headline, such as figurative, allegori, metaphor, and imagery.

The significance of Al-Suyuti in the science of eloquence primarily lies in his collection of the opinions of rhetoricians through his profound insights and meticulous analysis of any given subject. This study aims to shed light on effect of al-Teyyebe on Al-Suyuti's rhetorical efforts (especiall in figurative, allegori, metaphor, and imagery) through "Nawahid Al-Abkar wa Shawarid Al-Afkar" (The Rare and Subtle Aspects of Thoughts).

Keywords: Nawahid Al-Abkar wa Shawarid Al-Afkar, Al-Suyuti, Sharaf al- Din al-Tibi, ilm ul-Balagah, ilm al-Bayan.

المقدمة

الحمد لله منزّل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب ، آتيًا من أساليب البلاغة بالعجب العُجّاب، راقيًا من ذرى الفصاحة مرقى لا يجال ولا يجاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضادِ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد..

فإنّ أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، وأفنيت فيه الأعمار، ووجّهت إليه الهمم؛ هو كتاب الله تعالى، حبل الله المتين، المخرج من ظلمات الجهل والوهم إلى نور العلم والمعرفة والفهم والإيمان. قال تعالى: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[1]، فمَن تمسّك به هُدِيَ، ومَن اهتدى بنوره رَشَد.

ولما كانت حاجة الأمّة ماسّة إلى معرفة تفسير كتاب ربّها جلّ وعلا، والوقوف على أسراره، تسابق العلماء في شرحه وتفسيره، ومن أشهر هذه التفاسير(الكشّاف) للزمخشري وقد أتى بعده كثير من علماء التفاسير واعتمدوا عليه واقتبسوا منه، واختصروا كلامه لما في كلامه من لطائف وفوائد بيانيّة لم يسبق إليها.

ولما كان للكشّاف هذه المكانة، تصدّى كثير من العلماء للتأليف حوله، ومنهم الإمام ناصر الدين البيضاويّ في كتابه الموسوم بـ"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" مختصرًا للكشّاف ومضيفًا إليه إضافات رائعة من كتب المفسّرين الآخرين.

[1] سورة إبراهيم: آية ١.

ونظرًا لما كان لهذا الكتاب من مكانة جعلته مصدرًا لطلبة العلم في مختلف بقاع العالم الإسلاميّ. انكبّ العلماء على شرحه وتفسيره وتأليف حواش عليه، ولعلّ حاشية الإمام السيوطيّ (نواهد الأبكار وشوارد الأفكار) من أشهر هذه الحواشي. وأغناها وأنفعها، إذ احتوت على مادّة علميّة قيّمة ولا سيّما في الجانب البلاغيّ. الأمر الذي يجعل من هذا الكتاب مصدرًا لطلبة علم البلاغة العربيّة على نحو عامّ، وبلاغة القرآن الكريم على نحو خاصّ.

الكريم على نحو خاصّ.

تأتي أهمّية السيوطيّ في علم البلاغة خصوصًا من جمعه آراء أهل البلاغة من خلال إطّلاعاته العميقة في كلّ موضوعات هذا الفنّ مع إضافاته وتحليلاته الدقيقة. ومن هنا ركّزت هذه الدراسة خصوصًا على مكانة الطيبي في كتاب السيوطي، والنقول منه.

وهي تتشكّل من أربعة مباحث:

توطئة: ترجمة السيوطي، تعريف بكتاب نواهد الأبكار، ومنهج السيوطي فيه، وترجمة شرف الدين الطيبي.

أوّلًا: تعريف التشبيه، وصوره

ثانيًا: تعريف الاستعارة، وصورها

ثالثًا: تعريف المجاز، وصوره

رابعًا: تعريف الكناية، وصورها

ترجمة السيوطي:

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمّد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمّد بن الشيخ همّام الدين الهمّام الخضيريّ الأسيوطيّ .

ووالده من سلالة الصحابة أمّا أمّه فهي أمة تركيّة. وَنَشَأ يَتِيمًا، فحفظ الْقُرْآن، والعمدة، والمنهاج الفرعيّ، وَبَعض الْأَصْلِيّ، وألفيّة النَّحْو، وَالعروض.

وذكر السيوطيّ حياته فقال: "وأما نسبتنا بالخضيريّ، فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلّا بالخضيريّة، محلّة ببغداد؛ وقد حدّثني من أثق به، أنّه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أنّ جدّه الأعلى كان أعجميّا أو من

الشرق؛ فالظاهر أنّ النسبة إلى المحلّة المذكورة، وكان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة. "

وبدأت حياة السيوطيّ العلميّة بدراسة القرآن الكريم. فقدَ والدَه عندما كان عمره خمس سنوات. وليَ دراستَه العلّامةُ كمال الدين بن الهمّام الحنفيّ، وهو كان مِن أصدقاء أبيه، أخذ منه الفقه. وأكمل حفظ القرآن عند فخر الدين بن مصيفح. ثمّ درس اللغة وحفظ متونًا مختلفة من اللغة والفقه والسنّة، منها: عمدة الأحكام، منهاج النوويّ، ومنهاج البيضاويّ(ت ٦٨٥هـ) ، وألفية ابن مالك . وقرأ على العلماء المشاهير في أمصار شتّى، من العلوم المتنوّعة. من هذه الكتب: الكافية وشرحها لابن الحاجب (ت٦٤٦ هـ.)، مقدّمة إيساغوجي لفَرفوريوس الصُّوريّ، تفسير الكشّاف للزمخشريّ، شرح البهجة، تفسير البيضاويّ، وتوضيح ألفية ابن مالك لابن هشام، وتلخيص المفتاح للقزوينيّ، المطوّل للتفتازانيّ. وأخذ من العلماء فنّ القراءة، وأصول الفقه والسنّة. وللسيوطيّ نصيب أيضًا من العلوم التجريبيّة، منها علم الميقات(علوم الفلك)، والطب. وتعمّق في علم الحديث، ورحل إلى حجاز، وبعد عودته ركّز على التدريس.

وبسبب أسلوبه القاسي، والمناقشات والاتهامات بينه وبين علماء عصره عاش السيوطيّ خمس سنين في نهاية عمره منزويًا عن أصحابه في جزيرة الروضة على النيل . توفّي العالم الكبير، المجتهد في عصره، سحر ليلة الجمعة تسع عشرة جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة، ودُفن بباب القرافة عند قبر والده الشيخ كمال الدين ، وهو في الواحد والستين من العمر (رحمه الله تعالى).

تعريف بكتاب نواهد الأبكار:

ذكر السيوطيّ أسماء مصنّفاته على سبعة أقسام. وكتاب "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار" يُذكر تحت القسم الثاني الذي سمّاه: "ما ألِّف ما يناظره ويمكن العلامة أن يأتي بمثله". وذلك لم يتمّ، أو كتب منه قطعة صالحة من الكتب المعتبرة التي تبلغ مجلّدًا وفوقه ودونه. لكن يوصف هذا الكتاب ب"حاشية على تفسير البيضاويّ، ويشير إلى مرحلة جهوده :"وصلت فيها إلى آخر سورة الأنعام، مجلّد وسط" . وسمّاه باسمه المعروف فيما بعد في مقدّمة "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار."

منهجه العام:

وشَرْحُ السيوطيّ على تفسير البيضاويّ عبارة عن اقتباسات هائلة من آراء المفسّرين وأهل البلاغة. اقتبس السيوطيّ في شرحه أكثر من ٨٠٠ قول من الطِّيبيّ (حاشية فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)؛ وحوالي ٦٠٠ قول من سعد الدين التفتازانيّ (حاشية الكشاف)؛ وحوالي ١٥٠ قول من السيد الشريف الجرجانيّ (حاشية الشريف)، وإلى آخره.

ترجمة الطيبي :

العلامة، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي. المتوفى: سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . هو من عراق العجم، وهو من علماء الحديث والتفسير والبيان. واشتهر في اللغة. قال السيوطي عنه: هو "الإِمَام الْمَشْهُور الْعَلامَة فِي الْمَعْقُول والعربية والمعاني وَالْبَيَان" . قَالَ ابْن حجر العسقلاني: "كَانَ ذَا ثروة من الْإِرْث وَالتِّجَارَة فَلم يزل ينْفق ذَلِك فِي وُجُوه الْخيرَات إِلَى أَن كَانَ فِي آخر عمره فَقِيرا. وَكَانَ كَرِيمًا متواضعاً حسن المعتقد شَدِيد الرَّد على الفلاسفة والمبتدعة. شرح الْكَشَّاف شرحاً كَبِيرا وَأجَاب عَمَّا خَالف مَذْهَب السّنة أحسن جَوَاب يعرف فَضله من طالعه. وصنف فِي الْمعَانِي وَالْبَيَان التِّبْيَان وَشَرحه وَأمر بعض تلامذته باختصاره على طَرِيقَة نهجها لَهُ وَسَمَاهُ الْمشكاة وَشَرحهَا هُوَ شرحاً حافلاً ثمَّ شرع فِي جمع كتاب فِي التَّفْسِير. فَقضى نحبه مُتَوَجها إِلَى الْقبْلَة وَذَلِكَ يَوْم الثُّلَاثَاء ثَالِث عشري شعْبَان سنة ٧٤٣. "

وله كتب، منها: "التبيان في المعاني والبيان" و"الخلاصة في معرفة الحديث"، و"شرح الكشاف" في التفسير، مسمى ب(فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، و"شرح مشكاة المصابيح" في الحديث. وقال الشوكاني مضيفا على ترجمة حياة الطيبي: "وعنده كتب نفيسة يبذلها لطلبته ولغيرهم من أهل بلده بل ولسائر البلدان من يعرفه ومن لا يعرفه وله إقبال على استخراج الدقائق من الكتاب والسنة وحاشيته على الكشاف هي أنفس حواشيه على الإطلاق مع ما فيها من الكلام على الأحاديث في بعض الحالات إذا اقتضى الحال ذلك على طريقة المحدثين مما يدل على ارتفاع طبقته في علمي المعقول والمنقول".

علم البيان:

البيان لغةً: ب ي ن : "بانَ يَبين، بِنْ، بَيانًا وتِبيانًا، الكشف، والإيضاح، والظهُور فهو بائن وبَيِّن، بان الشَّيءُ: ظهر واتّضح "بان الفجر، كلامُه- بانت الحقيقَةُ – "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ" . والبَيانُ: الْفَصَاحَةُ

واللَّسَن، وكلامٌ بيّن فَصيح. والبَيان: الإفصاح مَعَ ذَكَاءٍ. والبَيِّن مِنَ الرِّجَالِ: الْفَصِيحُ، وَالْجَمْعُ أَبْيِناء. وفلان أَبْيَنُ من فلانٍ، أي أفصح منه وأوضح كلامًا. "

البيان اصطلاحًا: ما يتبيّنُ به الشئ من الدلالة وغيرها . وهو أصولٌ وقواعدُ يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقليّة على المعنى نفسه.

١ –التشبيه:

التشبيه في اللغة: شبه: شِبْهٌ وَشَبَهٌ لغتان بمعنىً. يقال: هذا شِبْهُهُ، أي شَبيهَهُ. وبينهما شِبَهٌ بالتحريك، والجمع مَشابَهُ على غير قياس، والشُبْهَةُ: الالتباسُ. ومُشَبَّهَةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بَعْضًا. والمشْتَبِهات من الأمور: المشْكِلاتُ. والمتشابِهاتُ: المتَماثِلاتُ. والتَشْبيهُ: التمثيلُ. وتَشَبَّه بِكَذَا: تَمَثَّلَ، والدلالة على مشاركة أمرٍ لآخرَ في معنى. فالأمر الأوّل هو المشبّه، والثاني هو المشبّه به، وذلك المعنى هو وجه التشبيه.

التشبيه في الاصطلاح: "التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى" ، أو "هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه، كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس، وهو إمّا تشبيه مفرد، أو تشبيه مركّب" .

صور عن التشبيه:

١ –عند تفسير قوله تعالى: {كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} اعتمد السيوطي على قول الطيبي في بيان صورة التشبيه في اسناء نقله عن البيضاوي .

قوله: "و{هذا} إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرًا إلى نهر جار: هذا الماء لا ينقطع، فإنّك لا تعني به العين المشاهدة منه، بل النوع المعلوم المستمرّ بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه، فالمعنى هذا مثل رزقنا (ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته) كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة" . ذكر السيوطيّ قول الطِّيبيّ: أي هو تشبيه بحذف الأداة ووجهه: نحو قولك: زيد أسد . قال الإمام: "لما اتحدا في الحقيقة وإن تغايرا في العدد صحّ أن يقال: هذا هو ذاك لأنّ الوحدةَ النوعيّة لا ينافيها الكثرة بالشخص . "

٢ –في تفسير قوله تعالى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} نقل السيوطي رأي الطيبي مشيرًا إلى أنّ إهلاك الريح تشبيه عن إهلاك الله .

قوله: "{أَهْلَكَتْهُ} عقوبة لهم لأنّ الإهلاك عن سخط أشدّ، والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة، وهو (من التشبيه المركّب) ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه للريح دون الحرث" . ذكر السيوطيّ قول الطِّيبيّ: "ويجوز أيضًا أن يكون من التشبيه المفرّق الذي يتكلف لكل واحد من المشبّه به شيء بقَدْر شَبَهه في المشبّه، فشُبه إهلاك الله بإهلاك الريح، وما ينفقون بالحرث، وما في غضب الله من جعل أعمال المرابين هباءً منثورًا بما في الريح الباردَة من حشّ الزرع وجعله حطامًا. "

٢–الاستعارة:

الاستعارة في اللغة: العارِيّة والعارةُ: مَا تداوَلُوه بَيْنَهُمْ؛ وَقَدْ أَعارَه الشيءَ وأَعارَه مِنْهُ وعاوَرَه إِيَّاه، اسْتعَار الشَّيْءَ مِنْهُ طلب أَن يُعْطِيهِ إِيَّاه عَارِية، وَيُقَال استعاره إِيَّاه.

الاستعارة في الاصطلاح: وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ، وعرَّفه العسكريّ بقوله: "نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفصل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغةَ فيه، أو الإشارةَ إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسينَ المعرضِ الذى يبرز فيه. "

صور عن الاستعارة:

١– ونقل السيوطي قول الطيبي في تفسير قوله تعالى أنّ في الآية استعارة عن الحبل: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ}.

قوله: "والنقض: فسخ التركيب، وأصله في طاقات الحبل (واستعماله في إبطال العهد من حيث إنّ العهد يستعار له الحبل) لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر" . في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ} . قال الطِّيبيّ: "أي لما سمّوا العهد بالحبل على سبيل الاستعارة، كما في قولهم: "إنَّ بيننا وبين القوم حبالًا"، أي: عهدًا، جسروا أن يستعمِلوا النقض في إبطال العهد، وذلك: أنّه شبه العهد بالحبل لما فيه من ثبات الوصلة تشبيهًا بليغًا حتّى إنّه حبل من الحبال، ثم أخذ الوهمُ في تصويره بصورة الحبل وتخييله بالحبل واختراع ما يلازم الحبل من النقض (ثم إطلاق النقض) المحقّق على ذلك المخترَع على سبيل الاستعارة التخييليّة ثم إضافته إلى

العهد المتخيّل لتكون قرينة مانعة، من إرادة المعنى الحقيقيّ ولو لم يذكر النقض لم يعلم أن العهد مكان الاستعارة" . فما، في قوله: (ما هو من روادفه) واقعة على النقض، والضمير في روادفه للحبل .

٢- في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ} . أتى السيوطي بإقتباسين: أوّلا من الطيبي وثانيا من الشيخ أكمل الدين.

حيث إنّ اقامة الصلاة استعارة. ونكتفي فقط بذكر قول الطيبي هنا، لأنّه أساس بحثنا هذا. لأنّ في آخر المطاف يرجح السيوطي قول الطيبي، ويؤوّلها على دونها .

قوله: ({ويقيمون الصلاة} أي يعدلون أركانها، ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها) قال الطِّيبيّ: "وعلى هذا فهو استعارة تبعيّة، شبّه تعديل المصلّي أركان الصلاة، وحفظها من أن يقع فيها زيغ بتقويم الرجل العود المِعَوَّجِ، فقيل: يقيمون، وأريد: يعدلون. "

٣-المجاز

المجاز لغةً: وجازَ الموضعَ جَوْزًا وجُؤُوزًا وجَوازًا ومَجازًا وجازَ بِهِ وجاوَزه جِوازًا وأَجازه وأَجاز غيرَه وجازَه: سَارَ فِيهِ وَسَلَكَهُ، وأَجازَه: خَلَّفه وَقَطَعَهُ، وأَجازه: أَنْفَذَه. وتَجَوَّزَ في كلامه، أي تكلَّمَ بالمجاز. وقولهم: جعلَ فلانٌ ذلك الأمر مَجازًا إلى حاجته، أي طريقًا ومسلكاً، فَهُوَ وجيز ووجز.

المجاز اصطلاحا: "ما جاوز وتعدّى عن محلّه الموضوع له إلى غيره؛ لمناسبة بينهما؛ إمّا من حيث الصورة، أو من حيث المعنى اللازم المشهور، أو من حيث القرب والمجاورة، كاسم الأسد للرجل الشجاع، وكألفاظ يكنى بها الحديث."

صور عن المجاز:

١ -في تفسير قوله تعالى: {قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها} قوله: "فلنجعلنّك تلي جهتها (ترضاها، تحبّها) وتتشوّق إليها" . ونقل السيوطي قول الطِّيبيّ في هذه المسألة واكتفى به ولم يأخذ من غيره. وقد نرى كثير من المواضع يكتفي السيوطي بقول الطيبي فقط، فمثاله قول الطيبي: "أي الرضى مجاز عن المحبة. الراغب. قيل، لم يقصد بقوله: ترضاها، إنّك ساخط القبلة التي كنت عليها، بل إنّه - صلّى الله عليه وسلّم - ألقى في رُوعِه أنّ الله يريد تَغْيِير القبلة، فكان يتشوّقُه ويحبّه، وقيل: تحبّها، لأنّ

مرادك لم يخالف مرادي وهذه منزلة يشدّ إليها أُولو الحقائق، ويذكرون أنّها فوق التوكّل، لأنّ قضيّة التوكّل الاستسلام لما يجري عليه من القضاء، كأعمى يقوده بصير وهذه المنزلة أن يحرّك الحقُ سرّه بما يريد فعله. "

٢ –في تفسير قوله تعالى: {وَما يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} . أشار السيوطي إلى أنّ "الكفران" في الآية ورد مجازًا عن تنقيص الثواب، و أيّد قوله بنقل من الطيبي.

قوله: "وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه ألبتّة (سمى ذلك كفرانًا كما سمى توفية الثواب شكرًا) " . قال الطِّيبيّ: "يعني لا يجوز أن يضاف إلى الله تعالى الكفران لأنّه ليس لأحد عليه نعمة حتّى يكفره، لكن لما وصف سبحانه بالشكور في تلك الآية –والشكور: مجاز عن توفية الثواب– نفى سبحانه على سبيل المشاكلة الكفران الذي هو مجاز عن تنقيص الثواب. "

٤ –الكناية :

الكناية في اللغة: أَن تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ غَيْرَهُ. وكَنَى عَنِ الأَمر بِغَيْرِهِ يَكْنِي كِنَايَةً: يَعْنِي إِذا تَكَلَّمَ بِغَيْرِهِ مِمَّا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ ، وقد كَنَيْتُ بكذا عن كذا وكَنَوْتُ، واحدة الكُنى. واكْتَنى فلان بكذا . وكلام استتر المراد منه بالاستعمال، وإن كان معناه ظاهرًا في اللّغة.

الكناية في الاصطلاح: الفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه، فظهر أنها تخالف الجاز من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه. وفُرَّق بأن الانتقال فيها من اللازم وفيه من الملزوم . وقيل: "إن الكناية أبلغ من التصريح. "

صور عن الكناية:

١ – كما ذكرنا آنفًا يُعزّز السيوطي قوله بنقل قول الطيبي ويكتفي بسرد قوله فقط. قوله: "{وَإِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَالْفُرْقانَ} (يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلًا وحجة) تفرق بين الحق والباطل" . في تفسير قوله تعالى: {وَإِذْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَالْفُرْقانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} . قال الطِّيبيّ: "يريد أن الكتاب والفرقان عبارتان عن معبر واحد وهو التوراة بعد تأويلها بالصفتين، يَدُلُّ عليه قوله آخرًا: "يعني التوراة"، هذا نحو قولك إذا أردت أن ترسم التوراة تقول: هي الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، الفارق بين الحق والباطل، وهو من باب الكناية التي يطلب بها نفس الموصوف. نحو قولك في مستوي القامة: عريض الأظفار، وتريد به الإنسان. وأما الواو فهي الداخلة بين الصفات للإعلام باستقلال كلّ منهما. "

٢ –لا يكاد يشرح السيوطي مباحث البلاغيَّة في كتابه نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، إلّا وقد يأيّد قوله بنقل قول الطيبي. وفي تفسير قوله تعالى: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ سَنَكْتُبُ مَا قالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ} "الكتابة" وردة على معنى الكناية.

قوله: "{وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ} (أي: وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا) العذاب المحرق" . قال الطِّيبيّ: "أي {ونقول} عطف على {سنكتب}، والباء في (بأن نقول) كالباء في (كتبت بالقلم) أي: ننتقم منهم بواسطة هذا القول، ولن يوجد هذا القول إلاّ وقد وجد العذاب وألمه، فالكلام فيه كناية".

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، لقد تكرّم الله على الإنسان بجعله مخاطَبا بوحيه الأزليّ مِن أوّل يوم أُوجد البشر على الأرض. وكتاب الله يعتبر الركن الركين والحصن الحصين الذي يلجأ إليه المؤمنون في كلّ حين لفهم الحياة فهمًا نيّرًا نابعًا من الوحي الذي لا يعتريه الوهم والخطأ والزلل والنسيان. وهذا لا يكون لكتاب آخر غير كتاب الله. وانطلاقا من هذا الأمر بذل العلماء جهودا كبيرةً ومضنية عبر التاريخ الطويل لمعرفة كنوزه النفيسة والتبحّر في مراميه الدقيقة. ولا شكّ أنّ علم البلاغة من أهمّ الوسائل إلى ذلك ونيل ما هنالك. إذ معلوم لدى الدارسين في علوم القرآن الكريم وفنونه أنّ إعجاز القرآن يبرز بقوّة على ضوء دراسات البلاغيّين لأسرار نظمه وتراكيبه البديعة والتي لا يمكن أن تتأتّى لأحد من البشر. مهما علا كعبه ورسخت قدمه في فنون القول وأضربه. وتدور دراستنا هذه حول تأثير الطيبي في وجوه علم البيان في كتاب نواهد الأبكار وشوارد الأفكار.

و قد خرجت من الدراسة ببعض النتائج وهي:

١ –كتاب نواهد الأبكار حاشية قيمة متنوعة المصادر، اعتمدت على مئات المصادر في فنون شتى، وخصوصا علوم العربيّة الصرف، والنحو، والبلاغة. مؤهلات السيوطيّ العلمية متنوعة، ونجد آثاره في هذا الكتاب كما نجد في مؤلفاته الأخرى .

٢ –السيوطي صاحب مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة في علوم البلاغة ناهيك عن العلوم الأخرى كالتفسير والحديث والفقه واللغة وغيرها.

٣– يمكن اعتبار هذه الحاشية تطبيقًا لنظريات السيوطي في البلاغة.

٤ –نقل السيوطيّ في حاشيته نواهد الأبكار كثيرًا من أقوال أصحاب الحواشي كالطيبيّ، والتفتازاني، والجرجاني.لدى السيوطيّ قدرة عظيمة في بحث العلمي، وإعتماده الدقيق على المصادر، وذكره لمصادر والمراجع. ولا يترك أي قول بدون ذكر صاحبه.

وخصوصًا تأثير الطيبي على السيوطي واضح جدًا عندما نظرنا إلى كمّية هائلة من آرائه الواردة في نواهد الأبكار. وقد تجاوز عدد النقل ٧٠٠ قول عن الطيبي. وذكرنا منها بعض الأمثلة تحت كلّ عنوان من مباحث علم البيان.

طالما شرح السيوطي تفسير البيضاوي، ولم يتخل السيوطي عن آراء الطيبي في موضوع علم البيان.

والحمد لله الذي بنعمه تتمّ الصالحات.

المصادر والمراجع

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ – ١٤١٨ هـ.

٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.

٣) بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطيّ، الشيخ عبد القادر الشاذلي، تحقيق: عبد الإله نبهان مجمع اللغة العربيّة، بدمشق.

٤) البيان والتبيين المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ.

٥) تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

٦) التحدث بنعمة الله تعالى، المؤلف: الجلال السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، المحقق: اليزابث ماري سارتين، حالة الفهرسة: غير مفهرس، الناشر: المطبعة العربية الحديثة.

٧) الحاوي للفتاوي (ط. العلمية) المؤلف: الجلال السيوطي؛ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين المحقق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرئيسية الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

٨) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند، عدد الأجزاء: ٦ (تِباعًا)، الطبعة: الثانية (١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.)

٩) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (المتوفى : ٩١١هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربيّة – عيسى البأبي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

١٠) الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع المؤلف: أحمد بن إسماعيل الكوراني شهاب الدين المحقق: سعيد بن غالب كامل المجيدي حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة سنة النشر: ١٤٢٩ – ٢٠٠٨.

١١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجانيّ الدار (ت ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة – دار المدنيّ بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٢) سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.

١٣) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحقّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

١٤) شرح مقامات السيوطيّ، جلال الدين السيوطيّ، التحقيق: سمير محمود الدروبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ.– ١٩٨٩ م.

١٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

١٦) صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

١٧) الصناعتين، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (ت نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيرو، عام النشر: ١٤١٩ هـ.

١٨) الضوء اللامع، المئلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، دار الجيل – بيروت، سنة النشر: ١٤١٢ – ١٩٩٢.

١٩) طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السُبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

٢٠) طبقات المفسرين المؤلف: محمد بن علي بن أحمد الداوودي شمس الدين حالة الفهرسة: غير مفهرس الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

٢١) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السُبكي (ت ٧٧٣ هـ)، المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطِّيبيّ على الكشّاف)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطِّيبيّ (ت ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا،المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٢٣) كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

٢٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، تاريخ النشر: ١٩٤١ م.

٢٥) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويّين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٦) مختصر المعاني، سعد الدين التفتازانيّ، دار الفكر، مطبعة قدس، ١٤١١ هـ.